

إن استخدام لفظي ((الوعي) و((اللاوعي))) للدلالة على عاملين متميزين استعمال خاطئ في نظر علم النفس الفردي؛ ذلك بأن الوعي واللاوعي عاملان معاً في اتجاه واحد وليسا متناقضين كما يظن الكثيرون، بل إنه لا يوجد بينهما حد واضح يفصل أحدهما عن الآخر. فلم يبق إذن إلا أن نتبين الغرض الذي يتوجهان نحوه معاً. وليس في مقدورنا أن نقول هذا وعي وذاك لاوعي، إلا بعد أن ندرك الصلة بينهما كاملة؛ وهذه الصلة مما يكشف عنه المثال الأول أي أسلوب الحياة الذي حللناه في الفصل السابق. وفي وسعنا أن نوضح الصلة الوثيقة بين الوعي واللاوعي بالحادثة الواقعية الآتية: كان رجل متزوج في الأربعين من عمره يشكوا اضطراباً من نوع معين، ولكنه كان يقاوم هذه الرغبة على الدوام؛ وحالته هذه لا يمكن فهمها إلا على أنها نتيجة لاشتراك الوعي واللاوعي معاً. فأما من ناحية الوعي فقد كان الرجل يحس بأنه يجب عليه أن يقفز من نافذة، بل إنه في الواقع لم يحاول قط أن يقفز من نافذة، وسبب ذلك وجود ناحية أخرى من حياته، ناحية يقوم فيها الكفاح ضد الرغبة في الانتحار بدور خطير. وكانت نتيجة تعاون الجانب اللاوعي من حياته مع الجانب الوعي منها أن خرج الرجل من الكفاح منتصراً، ومعنى هذا أنه في ((أسلوب حياته)) - إذا تعجلنا فاستعملنا هذا اللفظ الذي سنذكر عنه الشيء الكثير فيما بعد - قد انتصر وتال هدف التفوق. وقد يسأل القارئ كيف يشعر هذا الرجل بالتفوق وفيه هذا الميل الوعي إلى الانتحار؟ والجواب أنه كان في حياة الرجل شيء يكافح الميل إلى الانتحار، وكان انتصاره في هذا الكفاح هو الذي أثاله الظفر وجعله إنساناً ناجحاً متفوقاً. فإذا نظرت إلى الأمر من الناحية الموضوعية وجدت أن ضعف هذا الرجل هو الذي هيأ له سبيل الكفاح من أجل التفوق، وتلك في كثير من الأحيان حال الأشخاص الذين يحسون بنقص في ناحية من النواحي. ولكن المهم في حالة هذا الرجل أن كفاحه الخاص وسعيه للتفوق، قد غالباً على شعوره بالنقص ورغبته في الموت، وهذا على الرغم من أن الشعور بالنقص والرغبة في الموت كانتا ظهران في حياته الوعائية، في حين أن كفاحه من أجل التفوق كان يحدث في حياته اللاوعائية. ولننظر الآن هل يؤيد نمو المثال الأول لهذا الرجل هذه النظرية. ولنبدأ بتحليل ذكريات طفولته. لقد علمنا أنه قد لقي في حياته الأولى متابعاً في المدرسة، فلم يكن يحب غيره من الأولاد، ولكنه مع ذلك استجمع قواه كلها للبقاء معهم ومواجهتهم، أي أنه في هذا الوقت المبكر كان يبذل الجهد للتغلب على ضعفه، فقد واجه مشكلاته وتغلب عليها. وإذا نحن حلتانا أخلاقياً هذا المريض تبين لنا أن تغلبه على خوفه وقلقه كان هدفه الوحيد في حياته، وكانت أفكاره الوعائية وأفكاره اللاوعائية تتعاون كلها وتعمل متحدة للوصول إلى هذه الغاية. ولقد يعتقد من لا يدرك أن الإنسان وحدة متصلة الأجزاء أن هذا المريض لم يكن متفوقاً ولم يكن منتصراً، وقد لا يرى فيه إلا أنه إنسان طموح كل ما يرغب فيه هو أن يحارب ويكافح ولكنه في حقيقة أمره جبان؛ وذلك رأي خاطئ لأن القائل به لا يلم بكل ما يتصل بالأمر من حقائق، ولا يفسرها بالرجوع إلى وحدة الحياة البشرية. وفهمنا للأفراد أو محاولة فهمهم، ليصبحان شيئاً تافهاً عديم النفع إذا لم ندرك أن الكائن الحي وحدة لا تتجزأ؛ وإذا نحن افترضنا في هذا الكائن وجود ناحيتين لا علاقة بين إدراهما والأخرى استحال علينا أن نرى للحياة وجوداً كاماً موحداً. يجب علينا إذن أن نعد حياة الفرد وحدة متصلة، ويجب علينا فوق ذلك أن نلم بها مرتبطة بما حولها من صلات اجتماعية. وهذا الضعف يحتم على غيرهم أن يعنوا بهم. وعلى هذا فإن أسلوب حياة الطفل أو نمطها لا يمكن فهمه إلا بالرجوع إلى الأشخاص الذين كانوا يعنون به، وللطفل علاقات متبادلة مع أمه وأسرته، وهذه العلاقات لا يمكن إدراكتها إذا قصرنا بحثنا على الطفل من حيث هو جسم مادي في فراغ؛ والحقيقة أن شخصية الطفل تعترض فرديته الجسمية، ويدخل فيها كل ما يحيط به من صلات اجتماعية. ويصدق على الناس كافة إلى حدٍ ما ما يصدق على الطفل الصغير، فضعف الطفل الذي يضطره إلى أن يعيش في أسرة يقابله ذلك الضعف الذي يضطر الناس إلى أن يعيشوا في مجتمع؛ ذلك أن الناس كلهم يشعرون بالعجز في بعض الظروف، ويحسون بأن صعاب الحياة تطفى عليهم، ولذلك كان من أقوى ميول الإنسان أن يكون معبني جنسه جماعات لكي يعيش عضواً في مجتمع لا فرداً منفصلاً عن غيره. وما من شك في أن هذه الحياة الاجتماعية قد أعانته كثيراً على التغلب على ما يشعر به في نفسه من ضعف ونقص. فالأنواع الضعيفة منها نعيش دائماً في جماعات حتى تستطيع بقواها المجتمعة أن تواجه حاجاتها الفردية. مثال ذلك أن في وسع قطيع من الجاموس أن يحمي نفسه من الذئاب جتمعاً، فالواحدة من هذا القطيع تعجز بمفردها عن الدفاع عن نفسها، لكنها إذا اجتمعت كلها تلاصقت برؤوسها وقاتل了一أرجلها حتى تنجو كلها من عدوها. و تستطيع الغيلان والأسود والنمورة أن تعيش منفردة، لأن الطبيعة قد وهبتها وسائل الدفاع عن نفسها. أما الإنسان فلم يُعطِ ما أُعطيت من قوة وبطش، ولهذا فإن بني الإنسان لا يستطيعون أن يعيشوا فرادى، ومن ثم نرى أن ضعف الفرد هو منشأ الحياة الاجتماعية. ولهذا السبب نفسه لا تتساوى كفايات الناس جميعاً ومواهيمهم في المجتمع. ولكن المجتمع الذي أحسن تنظيمه لن يتوانى عن تنمية قوى الأفراد الذين يتألف منهم. وتلك من الحقائق الهمامة التي يجب ألا نغفل عنها حتى لا نظن أن الأفراد يجب أن يحكم عليهم حسب قواهم الموروثة

دون غيرها.والحقيقة أن الفرد الذي يبدو ضعيفا في بعض موهاباته إذا عاش في عزلة يستطيع أن يعيش هذا النقص إذا عاش في مجتمع حسن التنظيم.وإذا فرضنا أن نفائضنا الفردية موروثة كان من أغراض علم النفس أن يعود الناس أن يعيشوا مع غيرهم على أحسن حال ليستعينوا بذلك على تخفيف آثار نقصهم الطبيعي. وإن تاريخ الرقي الاجتماعي ليقص علينا كيف يتعاون الناس ليتغلبوا على ما فيهم من ضعف ونقص، فما من أحد يجهل مثلاً أن اللغة من اختراع المجتمع، ولكن قلة من الناس من يدرك أن النقص الفردي هو سبب هذا الاختراع. وتظهر هذه الحقيقة في سلوك الأطفال الأول، فهم إذا لم تشبع رغباتهم حاولوا أن يلفتوا الأنظار إليهم بلغة من نوع ما، أما إذا لم يكن الطفل في حاجة إلى أن يلفت نظر غيره إليه، فإنه لا يحاول الكلام قط، وهذه حال الطفل في الشهور الأولى من حياته حين تجبيه الأم إلى كل ما يحتاجه قبل أن يتكلم. ولدينا أمثلة لأطفال لم يتكلموا حتى بلغوا السنة السادسة من عمرهم لأنهم لم يجدوا قط حاجة إلى الكلام قبل هذه السن. ولدينا شاهد آخر على هذه الحقيقة وهو حال طفل لأبوين أبكيين أصميين. فقد سقط هذا الطفل وجُرح وصرخ، فقد عرف أن الصوت لا يفيده لأن أبويه لا يستطيعان سماعه. ولهذا مثل مظهر الصباح ليافت إليه أنظار أبويه، من أجل هذا كان الواجب علينا دائماً أن نلم بجميع الظروف المحيطة بالحائق الاجتماعية التي ندرسها، يجب أن ندرس البيئة الاجتماعية لكي ندرك هدف التفوق) الخاص الذي اختاره الطفل لنفسه، ويجب أن ننظر كذلك إلى الظروف الاجتماعية لندرك ما فيها من عدم توافق، فكثير من الناس لا تتوافق بينهم وبين بيئتهم، لأنهم يجدون أن من المستحيل عليهم أن يتصلوا اتصالاً عادياً عن طريق اللغة بغيرهم من الناس. ومن أمثلة هؤلاء الشخص الذي يتمتم في كلامه، فإذا بحثت عن أمره تبين لك أن هذا الشخص لم يكن بينه وبين المجتمع توافق قط، فلم يكن مثلاً راغباً في أن يشتراك في نواحي نشاطه المختلفة، ولم يكن راغباً في أن يختار له أصدقاء أو رفقاء. لقد كان نمو لغته في حاجة إلى أن يتألف هو مع غيره، ولكنه لم يكن راغباً في هذا الاختلاف، والواقع أن لدى المصابين بالمتمنمة ميلين، أحدهما يدعوه إلى الاختلاف مع غيرهم، وثانيهما يدعوه إلى أن يطلبوا العزلة لأنفسهم. وبعض الراشدين من الرجال الذين يحيون حياة اجتماعية يعجزون عن أن يخطبوا في الجمهور ويرهبون مواقف الخطابة، والسبب في هذا أن أولئك الناس يعدون مستمعيهم أعداء لهم، ويشعرون بأن فيهم هم أنفسهم نقصاً حين يواجهون مستمعين يظنونهم أعداء لهم متفوقين عليهم. والحقيقة أن الإنسان لا يستطيع أن يحسن الكلام إلا إذا كان واثقاً من نفسه ومن مستمعيه، وفي هذه الحالة دون غيرها لا يخشى الوقوف على منصة الخطابة.وهكذا نرى أن الشعور بالنقص ذو صلة وثيقة بال التربية الاجتماعية، فكما أن الشعور بالنقص ينشأ من عدم التوافق الاجتماعي بين الإنسان ووسطه، كذلك تكون التربية الاجتماعية هي الوسيلة التي يستطيع بها أن يتغلب على ما يشعر به من نقص.وتحتاج اتصال مباشر بين التربية الاجتماعية والإدراك الفطري العام.فإذا قلنا إن الناس يحلون مشاكلهم بإدراكيهم الفطري العام، فإن الذي نفك فيه في هذه الحالة هو أنهم يحلونها بما تجمع فيهم من ذكاء الهيئة الاجتماعية. أما الذين يعملون بلغة خاصة لهم وفهم خاص بهم، فإنهم كما قلنا في الفصل السابق يبدو عليهم مظاهر الشذوذ. والمتعوهون ومرضى النفوس وال مجرمون كلهم من هذا القبيل، يجدون أشياء معينة لا تذلهم، فالناس والنظم والمعايير الاجتماعية لا تعنيهم، وخلق هذه اللذة فيهم هو السبيل التي يمكن سلوكها لإنقاذهم من ورطتهم.والواجب علينا حين نعمل مع أمثال هؤلاء الناس أن نجعل الحقائق الاجتماعية تستوعي أنظارهم. ويظن الأشخاص العصبيون دائماً أن كل ما يجب عليهم هو أن يُظهروا حُسْن نيتهم واستعدادهم للعمل، ولا يدركون أن الذي يُطلّب إليهم شيء أكثر من حُسْن النية، ولذلك يجب أن نعلمهم أن الذي يهم لجتماع هو ما يعلموه،ولما كان الشعور بالنقص والسعى للتوفيق عاميّن في كل الناس، فإن من الخطأ أن نعد وجودهما في الناس كلهم دليلاً على أنهم جميعاً متساوون. فالنقص والتوفيق هما الحالتان العامتان اللتان تسيدران على كل سلوك الناس، ولكن يوجد غيرهما فروق في قوة الجسم وصحة البدن وفي الوسط الذي يعيشون فيه، ومن أجل هذه الفروق تختلف الأغلال التي يرتكبها الأفراد في الظروف المماثلة. فإذا بحثت حال الأطفال رأيت أنه لا توجد طريقة صحيحة صحة مطلقة، فهم يستجيبون بها بطرقهم الفردية الخاصة، وهم يسعون إلى أسلوب من الحياة خير من الأسلوب الذي هم فيه، ويقعون في أغلالهم الخاصة بهم، ويحددون أساليبهم الخاصة التي يرون أنها تقربهم من النجاح.ويجدر بنا أن نحل بعض خواص الأطفال والفرق التي بينهم. ولنبدأ أولاً بالأطفال العسر. لأنهم قد دُرِّبوا بعناية على أن يستخدموا أيديهم اليمنى. وهؤلاء في أول أمرهم لا يحسنون استعمال أيديهم اليمنى، والواجب أن تعالج هذه الحالة بأن تمرن كلتا اليدين.ويمكن أن تعرف الطفل الأعسر في مهده، لأن يده اليسرى تتحرك أكثر من يده اليمنى، وقد يشعر هذا الطفل في الحياة المستقبلية أن عليه عيناً يثقله لعدم إتقانه استخدام يده اليمنى. فيتولد لديه اهتمام كبير بيد اليمنى وذراعه اليمنى، وقد يbedo هذا الاهتمام مثلاً في عنايته بالرسم والخط وما إلى ذلك. وليس من حقنا أن نعجب إذا رأينا طفلاً من أولئك الأطفال في حياته المستقبلية يفوق الطفل العادي في مرانه، ذلك أن هذا الطفل قد اضطر إلى الاهتمام بأمر

نفسه، أو أنه قد (استيقظ مبكراً) إذا جاز هذا التعبير، فأدى ما به من نقص إلى زيادة العناية بتدريب نفسه، وكثيراً ما يكون هذا ميزة كبرى في تنمية الموهبة الفنية والقدرة الفنية. والطفل الذي يجد نفسه في هذه الظروف يكون في العادة طموحاً يكافح للتغلب على ما يعترضه من صعاب. على أن الطفل قد يتولد فيه الحسد لغيره من الناس والغيرة منهم إذا كان هذا الكفاح حاداً شديداً؛ ولذلك ينشأ فيه شعور قوي بالنقص يكون التغلب عليه أصعب منه في الأحوال العادية. المستمر طفلاً أو رجلاً مقاتلاً دائم الكفاح، ثبت في فكره أنه يجب أن لا يكون سمجاً ناقصاً، ويكون عبه الحياة على هذا الفرد أثقل منه على غيره. ويعمل الأطفال ويخطئون ويتطورون بطريق تختلف باختلاف المُثل الأولى التي كونوها لأنفسهم في السنين الأربع أو الخمس الأولى من حياتهم. ويختلف هدف كل منهم عن هدف غيره، فمنهم من يريد أن يكون نقاشاً، ومنهم من يريد أن يخرج من هذا العالم الذي لا يصلح له؛ وقد نعرف نحن كيف يستطيع هذا الطفل أو ذاك أن يتغلب على نقيance، ويحدث في أغلب الأحيان لا تفسر له الحقائق التفسير الصحيح. وكثير من الأطفال لهم عيون وأذان ورئات وبطون غير سليمة، ولذلك نرى اهتمامهم أكثر ما يكون في الناحية التي هم فيها ناقصون. ومن الأمثلة الغريبة هذه الحالات أن رجلاً كان لا يصاب بنوبات من الربو إلا حين يعود من مقر عمله في المساء، وكان متزوجاً ويشغل منصباً حسناً. وسئل لم تصيبه النوبات على الدوام بعد أن يعود إلى منزله؟ فقال ((إن زوجتي مادية محضة، فإذا عدت إلى منزلي كان كل رغبتي أن أظل هادئاً، أما زوجتي فتريد أن تفتشي المجتمعات، ولها تراها دائمة الشكوى من بقائها في المنزل، فأتضيق وتعززني نوبات الاختناق)) ولكن لم يختنق هذا الرجل ولم لا يتقياً مثلاً؛ الواقع أنه كان وفياً لمثاله الأول، إذ يلوح أنه وهو طفل كانت تلف أربطة حوله، وقد أثرت هذه الأربطة القوية في مجاريه التنفسية، وكانت له خادمة تحبه وكانت تجلس إلى جانبه وتسليه وتحصر كل عنايتها فيه لا في نفسها هي. ومن أجل هذا انطبع في ذهنه أنه يحق له على الدوام أن يُسَلِّي ويُسْرِرَ فلما بلغ الرابعة من عمره تزوجت الخادمة وفارقتها، وذهب هو معها إلى المحطة وهو يبكي بكاءً مرآ، ولما فارقتها قال لأمه ((لم يبق لي في العالم ما أهتم به بعد أن فارقني خادمتني)). يتطلع إلى وجود شخص مثالي يسره دائماً ويسليه ويوجه إليه كل عنايته. فلم يكن سبب متابعته إذن قلة الهواء، بل كان سببها أنه لم يكن يُسَرِّ ويُسْرَ في جميع الأوقات، وليس من السهل بطبيعة الحال أن يجد الشخص الذي يسره ويسليه على الدوام. وكان هذا الرجل فوق ذلك يرغب أن يسيطر دائماً على ما حوله، ولما نجح في ذلك عاد عليه هذا النجاح ببعض الفائدة، وذلك أنه لما كان يختنق كانت زوجته تمنع عن الذهاب إلى دور التمثيل وغضيـان المجتمعات، ونجح بذلك في الوصول إلى ((هدف التفوق)). وكان سلوك هذا الرجل من حيث وعيه سليماً على الدوام لا غبار عليه مطلقاً، ولكنه كان في قراره نفسه راغباً في أن يكون هو الغالب المسيطر. لقد كان يريد أن يجعل زوجته مثالياً غير مادية على حد تعبيره، ولكن الحقيقة أنه كانت تحركه بوعده خفية تختلف عن البواعث الظاهرة السطحية. وكثيراً ما نرى الأطفال ذوي العيون الضعيفة يوجهون جل اهتمامهم إلى المرئيات، فالشاعر العظيم جستاف فريتاج Gustav Freitag كانت له عينان ضعيفتان مصابتان بعدم القدرة على تسديد البصر (الاستجماتزم) ولكنه جاء بالشيء الكثير. وكثيراً ما يصاب الشعراء والمصوروـن بأمراض في عيونهم، ولكن هذه الأمراض نفسها كثيراً ما تزيد من اهتمامهم بعملهم، وفي ذلك يقول فريتاج عن نفسه: ((لقد كانت عيناي تختلفان عن أعين غيري من الناس، ولذلك يخيل إليّ أنني اضطررت إلى استخدام خيالي وإلى تدريبي؛ ولست أعرف أن هذا قد جعلني كتاباً عظيماً، ولكن الذي أعرفه أن ضعف بصري قد جعلني أرى في الخيال خيراً مما يراه غيري في الحقيقة)). وإذا نحن درسنا شخصيات العباءة تبين لنا في أغلب الأحيان أنهم مصابون بعاهة في أبصارهم، أو بنقص آخر في حواسهم. وكانت آلة الأساطير نفسها في جميع عصور التاريخ تمثل مصادبة بعاهة كالعور أو العمى مثلاً. وإن وجود عباءة لا يكادون يبصرون لكنهم مع ذلك يستطيعون أن يدركوا أكثر من غيرهم ما بين الخطوط والظلال والألوان من فروق، ليدل على ما نستطيع أن نعمله للأطفال المصابين بهذه العاـة إذا نحن درسنا مشاكلهم وفهمناها على الوجه الصحيح. ومن الناس من يهتمون أكثر من غيرهم بما يأكلون، ولهذا نراهم على الدوام يتحدثون عما يستطيعون أن يأكلوه وما لا يستطيعون، والغالب أن هؤلاء قد لاقوا متابـع خاصة بالطعام في مستهل حياتهم، فتولد فيهم هذا الاهتمام به أكثر من غيرهم. وأكبر الظن أن أمهاتهم كن كثـرات العناية بهم، ولكن يحدثهم عـما يلائمـهم من المأكولات وما لا يلائمـهم. ويحتاج هؤلاء إلى أن يمرـنوا على أن يتغلـبوا على ضعـف معدـتهم، وهو لذلك في حاجة شديدة إلى العناية بما يطـعمونـه في الصـباح والظـهر والمـساء. وقد يؤـدي تفكـيرـهم الدـائم في الطـعام إلى أن يـصبحـوا مـهـرـةـ في الطـهي أو في غيرـهـ من الشـؤـونـ المتـعلـقةـ بـالـطـعامـ. وقد يـحدـثـ أحـيـاناـ أنـ يـكونـ ضـعـفـ المـعـدةـ أوـ الـأـمـعـاءـ حـافـزاـ لـالمـصـابـينـ بـهـذـاـ الضـعـفـ عـلـىـ أنـ يـحـثـواـ عـنـ شـيـءـ غـيرـ الطـعامـ يـوجـهـونـ إـلـيـهـ عـنـايـتـهـمـ. وـمـنـ ثـمـ يـصـبـحـ هـؤـلـاءـ النـاسـ بـخـلـاءـ مـقـرـنـينـ، أوـ مـنـ أـصـحـابـ الـمـصـارـفـ وـأـرـبـابـ الـأـمـوـالـ. وـكـثـيرـاـ مـاـ يـبـذـلـ هـؤـلـاءـ أـقـصـىـ جـهـودـهـمـ فـيـ جـمـعـ الـمـالـ، وـيـدـرـبـونـ أـنـفـسـهـمـ لـيـلـاـ وـنـهـارـاـ عـلـىـ الـوـسـائـلـ الـتـيـ توـصلـهـمـ إـلـىـ جـمـعـهـ،

ولا ينقطعون قط عن التفكير في عملهم هذا. وقد يكسبهم هذا التفكير ميزة كبرى على غيرهم ممن يعملون في مثل مهنتهم، ومن الطريف أن نلاحظ هنا أننا كثيراً ما نسمع عن الأغنياء الموسرين الممعودين. وجدير بنا في هذا المقام أن نستعيد ما يذكره الناس عادة من الصلة بين الجسم والعقل، فنقول إنه ليس من المحتم دائماً أن يؤدي كل نقص معين إلى نتيجة معينة، وليس من الضروري أن تكون الصلة بين عيب جسمي وأسلوب خاطئ من الحياة هي صلة العلة بالمعلول. وفي وسعنا أن تعالج النقص الجسمي علاجاً ناجعاً بالغذية الصالحة، وننقد المريض بذلك من متاعبه الجسمية بعض الإنقاذ؛ ولكن النقص الجسمي ليس هو سبب النتيجة السيئة التي وصل إليها المريض، بل إن سبب هذه النتيجة هو موقف المريض نفسه من هذه العلة. ومن أجل هذا فإن العيوب الجسمية المحيضة، أمور لا وجود لها عند العالم بعلم النفس الفردي، وإنما الذي له وجود لديه هو الموقف الخاطئ الذي يقفه المريض من هذه الأمور. وهذا أيضاً هو السبب في أن العالم بعلم النفس الفردي يعمل لأن يخلق في الشخص الرغبة في مقاومة الشعور بالنقص وقت تكوين مثاله الأول. ونرى في بعض الأحيان شخصاً ملولاً عاجزاً عن أن يصبر حتى يتغلب على الصعاب، أو نرى أشخاصاً دائبي الحركة مهتاجين ثائرين، أولئك قوم يستدل من حالتهم هذه على أنهم يتملكهم شعور قوي بالنقص. ذلك أن من بعلم أنه قادر على قهر الصعاب لا يكون ملولاً، وإن لم يكن في وسعه على الدوام أن ينجز ما لا بد له من إنجازه. وإذا رأيت أطفالاً متغطرسين وقحبين مشاكسين دلت هذه الصفات على أنهم أيضاً يتملكهم شعور بالنقص قوي، وعليها في هذه الحالة أن نبحث عن أسباب هذا الشعور، حتى نصف لهم طريقة التغلب عليها، ولا يحق لنا مطلقاً أن ننتقد الأخطاء التي نشأت من أساليب الحياة الذي كان يحياه المثال الأول، وفي وسعنا أن نتعرف بين الأطفال على صفات المثال الأول بما نشاهده من سلوكهم الخاص به، ومن سعيهم للتتفوق على غيرهم، ومما يضعونه من خطط وما يقومون به من عمل ليبلغون هدف التتفوق. ومن الأطفال من يثق بنفسه في حركاته وتعبيره، ويحب أن يتبعه عن غيره قدر استطاعته، ويفضل ألا يذهب إلى حيث يواجه مواقف جديدة، وأن يقيم في الدائرة الصغيرة التي يشعر بتمكنه من نفسه فيها. وهو يرجو على الدوام أن يفعل الشيء الكثير في دائرة الصغيرة، لكي يصل من وراء ذلك إلى هدف من أهداف التتفوق. وهذه صفة نجدها في الكثيرين من الناس، فتراهم جميعاً ينسون أن المرء لا يستطيع أن يصل إلى النتائج إلا إذا كان مستعداً لكل الاحتمالات ولمواجهة كل الصعاب. فإنه لن يكون له ما يعتمد عليه إلا ذكاءه الخاص به، ذلك بأن الإنسان في حاجة إلى جميع الصلات الاجتماعية، وإلى الإدراك الفطري العام ليبعثنا فيه القوة والنشاط.نعم إن الفيلسوف الذي يريد أن ينجز عمله لا يستطيع أن يذهب في كل يوم للغداء أو العشاء في صحبة الناس، لأنه في حاجة إلى الانفراد بنفسه فترات طويلة من الوقت يستجمع فيها شوارد أفكاره، ويختار فيها الطريقة المثلث لأداء عمله؛ ولكن هذا الفيلسوف عينه لا يعظم شأنه فيما بعد إلا إذا اتصل بالمجتمع، ومن أجل هذا فإننا إذا التقينا شخصاً من هذا النوع وجب علينا أن نذكر هاتين الحاجتين، حاجته إلى الانفراد بنفسه، وحاجته إلى الاتصال بغيره؛ وعليها أن نذكر أيضاً أن في مقدوره أن يكون نافعاً أو غير نافع، وأن علينا لهذا السبب أن نعني بمعرفة الفرق بين النافع وغير النافع من السلوك. ومفتاح المسألة الاجتماعية كلها هو أن الناس يسعون على الدوام لأن يضعوا أنفسهم في وضع يربّزون فيه. ومن أجل هذا نرى الأطفال الذين يشعرون شعوراً قوياً بالنقص يريدون أن يتبعدوا عنهم هم أقوى منهم من لأطفال، ومن يستطيعون هم أن يخضعون نسلطتهم ويسطروا عليهم، وذلك مظهر مرضي شاذ من مظاهر الشعور بالنقص. ويجدر بنا أن نلاحظ هنا أن الشعور بالنقص في حد ذاته ليس هو الأمر المهم، وقد أطلق على الشعور الشاذ بالنقص اسم ((عقدة النقص)، ولكن لفظ «عقدة)) ليس هو التعبير الصحيح عن هذا الشعور الذي يسري في شخصية المرء بأكملها، فهو شيء أكثر من عقدة، ويكان يكون مرضًا يفتّك بالناس فتكاً يختلف باختلاف الظروف. وقد لا نلاحظ أحياناً شعور المرء بالنقص إذا كان بشغل في عمله، لأنه يشعر بأنه واثق من نفسه فيه، ولكننا نستطيع أن نتبين هذا الشعور إذا رأينا غير واثق من نفسه في المجتمعات، أو في علاقته بالجنس الثاني رجلاً كان أو امرأة.ونرى الأخطاء شديدة واضحة في الظروف الصعبة أو التي تؤدي إلى توتر الأعصاب؛ وسبب ذلك أن المثال الأول للشخص يظهر على حقيقته في هذه الأحوال الصعبة أو الجديدة، والأحوال الصعبة تكاد تكون على الدوام هي بعينها الأحوال الجديدة. ومن أجل هذا قلنا في الفصل الأول من الكتاب إن درجة الاهتمام الاجتماعي تتضح في الأحوال الاجتماعية الجديدة. وإذا أرسلنا الطفل إلى المدرسة كان في وسعنا أن نشاهد فيها عنايته لاجتماعية كما نشاهدتها في الحياة الاجتماعية العامة. فهي وسعنا أن نرى مثلاً هل يختلط بزمائه أو يتتجنبهم؛ فإذا رأينا أطفالاً ذوي نشاط شديد غير عادي، كان علينا أن نفحص عن حالتهم العقلية لنرى منشأ هذه الصفات فيهم. وإذا رأينا بعضهم متربدين لا يعملون إلا على قدر، كان علينا أن نتوقع ظهور هذه الخصائص نفسها في حياتهم المستقبلية في المجتمع، ويقابل المرء على الدوام أشخاصاً يقول له الواحد منهم ((سأفعل هذا الشيء بهذه الطريقة)); وكل هذه الأقوال شواهد على وجود شعور قوي

بالنقص في قائلها. الواقع أنتا إذا نظرنا إليهم من هذه الناحية ألقت هذه النظرة ضوءاً جديداً على بعض انفعالاتهم به كالشك مثلاً. والشخص الشاك يبقى في الغالب شاكاً على الدوام ولا يتم عملاً قط، أما الشخص الذي يقول ((لا أريد)) فأكبر الظن أنه سوف يعمل ما يدل عليه قوله هذا. وفي وسع العالم النفسي إذا عنى بالبحث أن يجد المتناقضات في الفرد الواحد من الناس. وقد تعدد هذه المتناقضات شاهداً على الشعور بالنقص، ولكن علينا قبل أن نحكم هذا الحكم أن نلاحظ أيضاً حركات الشخص الذي فحص عن مشكلته، فقد تكون طريقة اقترابه من الناس ومقابلتهم غير ستحية؛ علينا أيضاً أن نلاحظ هل يسير هذا الشخص نحو الناس بخطى غير ثابتة وهيئة متربدة؟ فإذا رأينا كذلك فلا بد أن نرى هذا التردد نفسه يبدو غالباً في مواقف أخرى في الحياة. وإذا رأيت رجالاً يخطو خطوة إلى الأمام وخطوة أخرى إلى الوراء فاعلم أن هذا دليل على شعور قوي بالنقص. وينحصر واجبنا في هذه الأحوال في أن ندرب هؤلاء الأشخاص على الخروج من ترددتهم. وخير ما نعالجهم به أن نشجعهم لأن نثبت من عزيمتهم؛ علينا أن نفهمهم أنهم قادرون على مواجهة الصعاب وحل مشاكل الحياة، وبغير هذه الطريقة لا يستطيع بث روح الثقة بالنفس فيهم، وليس ثمة طريقة غير هذه لعلاج ما ينتابهم من شعور بالنقص.